

فض اعتصامي الإخوان.. إعادة تركيب المشهد ضرورة لترميم الذاكرة

حين تجندت الجماعة لتسوق لأنصارها وجود حرب بين الكفار والمسلمين



الجماعة ترمي بالآلاف الشباب في المحرقة

الخيام ولا تدري متى جهزوها باكفان حملت لافتات "لا للانقلاب". فكتبت في صفحتي أنني رفضت فض الاعتصامين، "ولو بدخان طابونة". ووضعت رابط "3 مشاهد قبل حماقة الفض"، مصحوبا بسطر "هذا ما كتبتة أمس (13 أغسطس 2014)، وأعلن براعتي من أي قطرة دم أريقت أو سترأق". وشعرت بغير لازمني في 9 أبريل 2003 لحظة إسقاط تمثال صدام. لا يعني صدام، فما أجزني هو احتلال بلد عربي. وخرجت من البيت لا أرف إلى أين.

بسبب حظر التجول، عدت على قدمي، ولا أعلم أن السدم بلغ البيت، وضحيت جاري الشهيد اللواء محمد جبر. نقيم في العسارية، وبيننا تحيات عابرة في المصعد والمدخل. ولم أرف مكان عمله إلا بعد أن اغتاله إرهابيون يوم فض الاعتصام، مع 17 من أفراد قسم شرطة كراسة الذي كان مأمورا له. ورحم الله كل شهيد لم يكن ينوي تلوين يديه بدم أخيه.

الخطاب الإخواني اهتم بالتكفير والتضليل، وقاد ذلك المتحدث باسم الجماعة جهاد الحداد الذي تجند لنشر المغالطات معتمدا نهج البكائيات والمظلومية

الأعداد الرسمية للمجزرة 632 قتيلًا من 8 من الشرطة، والرقم الإخواني 1000. ولا أتق بالطرفين، ويكفي قتل مواطن لنسوت جريمة تتسرع بالوقوع. الانتقام، وتؤكد فشل التعامل مع أزمة. هل كان الاعتصام مسلحا؟ يجب أحمد المغير كاشفا عن "سرية لطيفة مولى" "أيوة كان مسلح... سلاح في رابعة كافي أنه يصد مجرمي الداخلية ويمكن الجيش كمان إلا أن قبل المجزرة بيومين كان 90 بالمئة من السلاح ده خارج رابعة، خرج بخيانة من أحد المسؤولين من إخوانا اللي فوق... وراء طيبة موال مكان "الجهاديين" وبيعلن مواجهة عقائدية سليمة بين حرق وباطل لا ديمقراطية ولا تعددية ولا حزبية... معظم السلاح في رابعة كان تم إخراجة بخيانة حصلت ولم يتبق إلا سلاح سرية طيبة مولى... الاعتصام ده لم يكن بالإمكان فضة نهائيا لو كان سلاحه فضل فيه بس الهزيمة كانت من الخونة داخلنا".

فيا من حسنت نيته: لا تجلد نفسك، من كان يخيل أن يتحكم في رقاب المسلمين معاوية الذي قضى عمره يعادي الإسلام ورسوله؛ وأن تنتهي الثورة الفرنسية بانقلاب نابليون؛ لا نهاية للتاريخ، والثورة مستمرة.

المسيرات في الجزيرة بضربوا بالأي في الهواء. سلمى إيه؛ الأهالي محتاسة في عيشتها ومتكد عليها". هذا هو المحيط البشري الذي قصده هوغو. في ليلة جمعة التفويض كتبت إسراء عبدالفتاح أن هذه الجمعة "ضد إرهاب الإخوان... رغم أن الجيش والشرطة مش محتاجين تفويض".

اهتم الخطاب الإخواني بالتكفير والتضليل، وقاده المتحدث باسم الإخوان جهاد الحداد المصنف المفضل لوكالات الأنباء الأجنبية. ومن منشوراته بالإنكليزية استغاثة مصورة لأطفال ادعى أنهم قتلوا في صلاة الفجر مع نوبهم، فجر 8 يوليو أمام دار الحرس الجمهوري. والصورة من سوريا، ونشرت في 24 ديسمبر 2012، لأطفال يودعون أمهم "الشهيدة رولا خليل الطواشي" في حي القايون بدمشق، بثياب شتوية مستحيل ارتداؤها في لهيب الصيف المصري.

أما القرضاوي فارتبك بين حفظه للفقهاء وقراءته مشهد ملتبس يلزمه اجتهاد جديد. سألته مزيح الجزيرة هل ينطبق على عبدالفتاح السيسي حكم المتغلب بالسيف؟

المتغلب هو من يقود انقلابا عسكريا على السلطة ولو كانت ثمرة بيعة أو انتخابات، واستقر الفقهاء على تحريم قتاله. هو حكم لا يلزمنا، ويجب اعتباره فصلا في تاريخ الفقه، فلا يقبل العقل مبدا ولاية المتغلب بالسيف، قياسا على تجارب كان فيها الحاكم بالضرورة مسلما يحتمي بكتيبة من رجال الدين الأقوى من الجيش.

مبدا "فقهني" أربك القرضاوي، فقال للجزيرة إن السيسي لم يحكم، ويوجد الرئيس المعين عدلي منصور "لم يقل السيسي إني تغلبت عليكم بالقوة... الحاكم المتغلب هو الذي يقوم بأسلحته وجيشه وكذا، ويسيطر على الحياة ويطر المدنيين منها. هذا لم يحدث".

الفتوى القرضاوية تبرئ السيسي من تهمة الانقلاب. ولو أنه قاد انقلابا لحرمت الثورة عليه، بنص الفقه الإسلامي والقرضاوي الذي سيدعو المسلمين "في كل بلاد الدنيا"، لمواجهة "الانقلاب" في مصر.

في 13 أغسطس كتب علاء الأسواني "كل من تسبب في تأخير فض اعتصامات الإخوان المسلحة يكون مشتركا ولو بحسن النية في إهدار ما أنجزته ثورة 30 يونيو. الدولة يجب أن تطبق القانون فوراً".

قبل الفض، كتبت مقالا عنوانه "3 مشاهد قبل حماقة الفض"، نشرته صحيفة "العرب" في موقعها الإلكتروني، الأربعاء 14 أغسطس، ونشرته ورقيا في اليوم التالي. وضحوت بعد ظهر الأربعاء الدامي، والشاشات تضخ دماء وصراخا وكراهية وشماتة. وهناك كلام عن ممرات آمنة لخروج المعتصمين، وقتل عشوائيا، وجثث تخرج من

ميدان التحرير والشوارع، ابتهاجا بعزل مرسي، تشبه ليلة خلع مبارك (11 فبراير 2011)، بعد منتصف الليل رجعت لاستقبل فجر الخميس 4 يوليو، وفوجئت بحجب الفضائيات الدينية، وقرأت تغريدة لبلال فضل الساعة 9:12 مساء "بيان الجيش واضح ولا مجال للحديث عن انقلاب عسكري إلا من كذابي الإخوان. مرسي استهان بشعبه وقرر أن يكون رئيسا لعشيرته فقط فاسقطه الشعب". تلتها تغريدتان تنسيبان إليه "اللي زعلان جدا على القوات اللي حجت اعتبره إعلام فاسد يا أخي. وأودع بعد وضع ميثاق شرف يمنع خطاب الكراهية ساكون أول المتضامنين مع عودتها"، و"الأغبياء اللي متخيلين إن خلع مرسي تراجع عن ثورة يناير يا ريت يقرأوا رسالة الجيش بوجود منسق حركة تمرد والبرادعي وسكينة فؤاد وغيرهم من الثوريين".

كتبت تعليقا في الفيسبوك وتويت "ادين إغلاق أي قناة دينية أو القبض على من يعمل بها. سنواجه أي حكم بوليسي". ولم يتأخر الحكم البوليسي، استغلال وتعللق ولم تقاوم إلا بإمكانات قليلة تتيجها مواقع التواصل الاجتماعي، نخاطب أصدقائنا، ونعزي أنفسنا حتى ننضح شروط ثورة. أتذكر كلمة "سنواجه"، فأجدي وهما ومطالب بالاعتذار.

تصاعد خطاب التحدي والتكفير. بعض أصدقائي من غير الإخوان كانوا يذهبون إلى ميدان رابعة، ورفضوا اصطحابي "لا نضمن خروجك". ومررت قرب منتصف الليل بميدان النهضة، قادما من ميدان التحرير إلى شارع الهرم. كانت أغلب الشوارع مغلقة، وسار سائق الميكروباص في شارع مراد، وعبرنا الاعتصام، فتمتم الركاب بحمد الله، وصوت الرصاص بيدي، ولا

نعرف إلى أي هدف؛ وقابلتنا مسيرة قادمة من ميدان الجزيرة، أمام حديقة الحيوان. خطوا السيارة بالأت حادة، وتفحصونا وأسلحتهم البيضاء مشهرة، ومعنا امرأة، فصاح أحدهم "مسيحية" مسيحيون؛ يا أولاد الوسخة. لف وارجع، ما فيش مرور لكلا بالانقلاب". رجع السائق، ونحن صامتون نتوقع أي مصير. بلغنا شيراتون القاهرة، وتمثال طه حسين يأسف على مئة سنة مهكرة من تنوير عصي، وعلى إغلاق جامعة القاهرة للمرة الأولى في تاريخها. وصلنا إلى نهاية شارع التحرير، حيث تمثالان لحصانين سيدمرهما أنصار الإخوان يوم فض الاعتصام.

في اليوم التالي، كتب علاء عبدالفتاح عن ضرورة فض اعتصام النهضة المسلح "بسلاح اللي... قتلة محترفون بيتحركوا بحرية في الجامعة وجنيحة الحيوانات وحديقة الأورمان". عن المشهد المرعب قالت الدكتورة ليلي سويف لصحيفة "الوطن"، في تصريح بالفيديو، إن اعتصام النهضة "لزم الشرطة تفضه. كل يوم شايفينهم في

يا ريت يراجعوا كتاب الدراسات الاجتماعية للصف السادس الابتدائي، وفي الصفحتين بالشرح المصور اختيار زعماء الشعب لمحمد

علي، وفرض إرادتهم على السلطان العثماني فوافق على تعيين الوالي الداهية، وسرعان ما تخلص منهم.

أبو الفتوح نفسه لم ينكر 30 يونيو، واعترض على 3 يوليو. وتوكل كرمان كتبت في 29 يونيو "نجح الإخوان خلال عام في تدمير سمعة مصر والقضاء على قوتها الناعمة التي جلبتها ثورة يناير، وهي الآن تعاني من عزلة مطلقة، ما الفشل

إن لم يكن هذا؟". وأتبعها بتغريدة "فشل الإخوان الزريع تمثل في أنهم يواجهون الجميع عوضا عن التوافق مع الجميع كما كان يفترض، فاضاعوا مصالح مصر وقوتها، وهي الآن في عزلة تامة تعزلهم". وفي 30 يونيو كتبت حركة ديمقراطية لإطاح بمكتب الإرشاد ومعهم الرئيس مرسي لفشلهم الزريع في إقامة تحالفات، و"الشرعية الثورية في التحرير وهي أقوى وأعظم من أي شرعية".

قد يكتب إنسان تغريدة تحت مؤثر ما، ولكن أكثر من تغريدة في أيام مختلفة يعني حضور العقل، ولو اختار صاحبه معسكرا آخر بالترغيب أو التهيب.

استرجاع المشهد

في 30 يونيو كنت مع أولادي في الصيف، بإحدى قرى مرسي مطروح، وتابعت الحشود والحشود المضادة. وقال لي بدوي أمي، وهو يشير إلى شاشة قناة الجزيرة المقسومة، بين الإخوان في رابعة والحشود في الميادين "خسارة. في 25 يناير كانت الشاشة واحدة مش مقسومة". ولم أشك في حسد الأمر، وتذكرت كلام فيكتور هوغو عن حتمية فشل الثائر حين يخسر محيطه. فلم نتج لأي احتلال عبقرية استعداء الجيش والشرطة والقضاء والأزهر والكنيسة والإعلام والقبائل والاتحادات الطلابية والمثقفين والسياسيين، وعموم الشعب. فعلها الإخوان، وصوروا لأنصارهم 30 يونيو حربا بين الكفر والإسلام، معركة عنوانها الإسلام، وظلت أعلامهم وشعاراتهم تكفيرية، حتى نصحهم المذيع أحمد منصور بتبني شعارات ثورة 25 يناير ورفع العلم المصري.

قضى الأمر مساء الأربعاء 3 يوليو 2013. خارج البيت أنعزل إلا من التواصل الهاتفي، وكانت احتفالات في

باسم الله، أدخل حقل ألغام لا يضمن من يفكر في خوضه سلامة الخروج. أشهد على ما رأيت وتابعت عند فض اعتصامي الإخوان، في حدود قدرات فرد يرفع آية "هاؤم أقرأوا كتابيه" شعارا. وفي أغسطس 2014، أول عدد أصدره في مجلة "الهلال" رئيسا لتحريرها، ختمت الافتتاحية بأنني أبدأ التجربة "غير مثقل بأي فاتورة، أو عبء نفسي. لست مدينا لأحد بشيء، إلا للقارئ، هو سيد يأمر في أي وقت، ويطلب كشف حساب، وله أيضا أن يفتش في الدفاتر القديمة، والكتابة فضيحة لا يسهل سترها، تشهد لصاحبها أو عليه، فالنشر لا يبلي، والذنب في الكتابة لا ينسى، لا أوجل من مقال كتبت، ولا أضطر إلى أن أطويه طي السجل".

"الحملة الهائلة المائجة التي واجهها الشيخ أبو زهرة" جعلته يصمت، ولا يكتب رايه، وإن نسبه في كتابه "العقوبة في الفقه الإسلامي" إلى الخوارج.

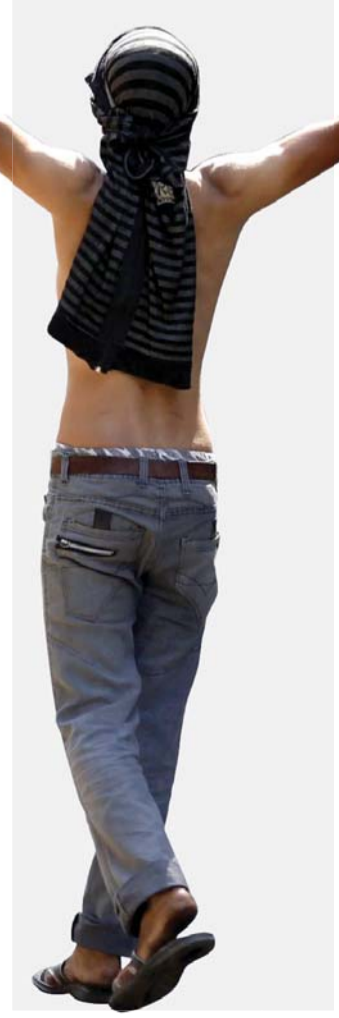
لا اضمن العيش إلى الرابعة والسبعين، فاكذب ما كتبه الشيخ أبو زهرة، ثم أفصح عنه في ليبيا. فباسم الله أحاول وضع التفاصيل، ومن حسن الحظ أن التكنولوجيا توفق ما كان يمكن إنكاره والتبرؤ منه. وتحفظ مقاطع الفيديو والمنشورات الفيسبوكية والتغريدات التوتيرية مواقف صاحبها في لحظات محددة، ولو حذفها فلا تعدم شخصا ينسخها.

وفي التوقف أمام الذروة التراجيدية غفلة عن تفاصيل الطريق، منذ منتصف يونيو 2013 إلى 14 أغسطس. لأي قارئ أن يستدعي بالبحث تصريحات صقور اليمين الديني، في توعدهم لأصحاب 30 يونيو 2013، وكان ذلك مسبوقا بجريمة قتل أربعة من الشيعة في الجزيرة، بعد تجريم رموز السلفيين للشيعة في مؤتمر حضره رئيس الجمهورية محمد مرسي.

وما يعني هنا التيار المدني. ولأبد يا خالد علي؛ فقد انتخبته عام 2012، في أول وآخر مشاركة في التصويت في انتخابات رئاسية. وفي 24 يونيو دعا في مؤتمر عام إلى الثقة بالثورة المستمرة منذ 25 يناير، وبشر بأن "يوم 30 يوم الخلاص. أقول للإخوان: قضى الأمر، حافظوا على الوطن وانسحبوا... هذا النظام يجب أن ينتهي".

وفي 18 ديسمبر 2018 كتب في صحفته على الفيسبوك "الناس يتوع تحالف 30 يونيو اللي بيعيطوا، وزعلانين على استبعادهم وتهميشهم،

الإخوان صوروا لأنصارهم 30 يونيو حربا بين الكفر والإسلام، معركة عنوانها الإسلام فكانت كل أعلامهم وشعاراتهم تكفيرية



سعد القرش
روائي مصري

القاهرة - يكاد فض اعتصام رابعة يتسبب ما يسبغه اليهود، والمطاردون بعقدة الذنب، على الهولوكوست من قداسة تجرم الفهم والدرس، بما فيه البحث العلمي الأكاديمي، وتجرف تاريخ كاتب في حجم جارودي؛ لأنه تجرأ على النقاش والتشكيك في الأرقام، لا في الجريمة.

وفي قضية فض اعتصام ميدان رابعة العدوية بالقاهرة وميدان النهضة مصر أمام جامعة القاهرة تصبح إعادة تركيب المشهد ضرورة، وترميها لذاكرة تتم شيطنة أصحابها. ففي ذلك المشهد حرض إعلاميو أجهزة الأمن على القتل وسوغو. تم اختطاف الشهيد، وبدأ اتهام الصامتين والرافضين بالخيانة الثورية والإنسانية. وحسب أن لاجتهدا في جميع ما يتاح من تفاصيل متناثرة أجزا واحدا على الأقل، إذ يلقي أضواء على الصورة، قبل 14 أغسطس 2013. فنادا دعائي إلى مغامرة غير مضمونة العواقب في حقل ملغوم؛ إنه عبدالمنعم أبو الفتوح المعتقل، فك الله سبحانه.

إرهاب فكري

في شهادته على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر (1970-1984)، وقد حررها واحد من أنبل الباحثين هو المرحوم حسام تمام، يستعرض أبو الفتوح كيف كانوا يؤمنون "بجواز استخدام العنف بل وجوبه في بعض الأحيان"، ويضيقون بمبدا الخلافة "وهو ما عرس داخلنا بذور الإرهاب الفكري لكل من كان يختلف معنا... نمارس إرهابا فكريا ليس بحق خصوصنا الإيديولوجيين فحسب، بل بحق أساتذتنا ومشايخنا الذين علمونا وأخذوا بأيدينا حتى لو كانوا بوزن استنادنا فضيلة الشيخ العلامة محمد أبو زهرة، رحمه الله، الذي خشي أن يفضح ببعض اجتهاداته ومات دون أن يجهر بها واكتفى بأن أسر بها للمقربين منه فقط".

لم يذكر أبو الفتوح طرفا من هذه الاجتهادات. وحين يري الأمر: ما الذي خشيته الشيخ أبو زهرة (1898-1974)؛ واجابني يوسف القرضاوي، في الجزء الثالث من سيرته "ابن القرية والكتاب"، حين دعي عام 1972 إلى ندوة للتشريع الإسلامي، وسمح له القبطيون "بإجابة الدعوة، لاسيما أن ليبيا هي التي ستتكلف بتكثف الطائرة ونفقات الإقامة، ولن تتكلف قطر شيئا".

كتب القرضاوي شهادته عام 2004، وهو لا يقتنع باجتهدا يخص حد الزنا أثاره أبو زهرة الذي "فجر في الندوة قنبلة فقهية" هيّجت عليه الحضور، لقله "إني كتبت رأيا فقهيا في نفسي من عشرين سنة... وأن لي أن أبوح بما كتتمه، قبل أن ألقى الله تعالى، ويسألني؛ لماذا كتتمت ما لديك من علم، ولم تبينه للناس؟ هذا الرأي يتعلق بقضية الرجم المحسن، في حد الزنا، فرائي أن الرجم كان شريعة يهودية، أقرها الرسول في أول الأمر، ثم نسخت بحد الجلد في سورة النور".

قال القرضاوي إن الشيخ قدم أدلة منها آية "فإذا أحسن فإن اتين بفاحشة فعليه نصف ما على المحصنات من العذاب"، والرجم عقوبة لا تنتصف، ورجح أن آية "وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين" نسخت الرجم. ولم يبال باعتراض أغلب الحضور، وثبت «كالطود الأشم». وقدّر القرضاوي أن